. بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ "

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً " أما بعد ,
فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

**** نص حديث الباب :**
قال الْوَلِيدُ بْنُ عُبَادَةَ : دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي.
فَقَالَ: أَجْلِسُونِي . فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ

حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:
" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي"

***** تخريج الحديث :**
أخرجه أحمد(22705) والبخاري في التاريخ الكبير(6 / 92) وأبوداود (4700) والترمذي(2155) وابن أبي عاصم في السنة(107) والحديث قد صححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع (2018) والسلسلة الصحيحة) (133)
-- وقد ورد المعنى العام لحديث الباب في الصحيحين : أ) فقد أخرج البخاري في صحيحه : كتاب القدر(باب جف القلم على علم الله) ثم روى قول أبى هُرَيْرَةَ:
قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاَقٍ)[1] ب) وروي مسلم عن جابر -رضى الله عنه**- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سُئل : فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ،**

[1] وقد علقه البخاري في كتاب القدرمن الصحيح ،بَابٌ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ (8/122) وكان قد وصله في كتاب النكاح(5076)

وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ ؟ فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
« لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» [2]

أهم الفوائد المستخرجة من حديث الباب : **

1) الأولى : ما هو أول المخلوقات ؟

قد ورد في حديث الباب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ ...)
للسلف فى هذه المسأله قولان :

القول الاول : قال به ابن جرير الطبرى وابن الجوزى ،
قالوا : **أول المخلوقات هو القلم ،**
و استدلوا على ذلك بأدلة : 1)
بحديث الباب .
2) وعن اِبْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما-قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَمْضَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ،» ثُمَّ قَالَ: " اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29] [3]

القول الثانى :-

أن العرش هو أول المخلوقات ، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وشارح الطحاوية، وقال ابن حجر نقلاً عن أبي العلاء الهمداني: إنه قول الجمهور، ومال إليه ابن حجر،وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قول كثير من السلف

---

[2] أخرجه مسلم (2648)
[3] أخرجه الآجري في الشريعة(178)وابن أبي عاصم في السنة(106)وصححه الألباني في الصحيحة(3136)

والخلف ، واستدلوا على ذلك بأدلة :
1) حديث البخارى الذى سُئل فيه النبى صلى الله عليه وسلم *عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ ؟؟ فقَال صلى الله عليه وسلم :*
« كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»[4]

*** ***وجه الدلالة*** ::
أنه فى وقت حدوث الكتابة الأزليه كان العرش على الماء ، فدل ذلك على أنه لمَّا خُلق القلم كان العرش مخلوقاً على الماء ، فدل ذلك على أن العرش هو أول المخلوقات .

** قال شيخ الإسلام ابن تيمية :
ولفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث الذى أخرجه أصحاب الصحيح (كان الله ولا شئ معه ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شئ) وهذا إنما ينفى وجود المخلوقات من السموات والأرض وما فيهما من الملائكة والإنس والجن ، لا ينفى وجود العرش. ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف الى أن العرش متقدِّم على القلم واللوح ، مستدلين بهذا الحديث.[5]

****** يؤيد ذلك*** :
ما صح عن ابن عباس –رضى الله عنهما-موقوفاً :
" كان الله على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ما خلق القلم ، فأمره وكتب كل ما هو كائنٌ عليه) [6]
وهذا له حكم الرفع ؛ لأن هذا من الغيبيات التى لا تقال بالرأى.

***** قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على حديث الباب – حديث عبادة بن الصامت – ما نصه :***
فهذا القلم خلقه لما أمره بالتقدير المكتوب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان مخلوقاً قبل خلق

---
[4] أخرجه البخاري (7418) ومسلم (2653)واللفظ للبخاري.
[5] مجموع الفتاوى(2/275)
[6] أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (44)والآجري في الشريعة(351)وصححه الألباني في مختصر العلو(ص/95)

السموات والأرض ، وهو أول ما خلق من هذا العالم ، وخلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص وهو قول جمهور السلف .[7]

**** وهذا هو الراجح -والله أعلم - أن العرش أول المخلوقات.**

**** *الرد على أدلة القول الأول :***

ما استدلوا به من قوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ ...) فهذه الأولية لها توجيهان ، إما أن تُحمل على الأولية النسبية ، أوالأولية الظرفية .

أ) أما الأولية النسبية :

فهى ليست أولية مطلقة ، والمعنى أن القلم ليس هو أول المخلوقات على الاطلاق ، بل هو أول المخلوقات بالنسبة إلى ما عدا العرش . قال شيخ الإسلام :

وهو – أي القلم-أول ما خلق من هذا العالم ، وخلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص وهو قول جمهور السلف .[8]

ب) الأولية الظرفية :

والمعنى أن الأولية إنما هي راجعة إلى الكتابة لا إلى الخلق، فيكون المعنى أنه عند أولِ خلق القلم قيل له: اكتب ما هو كائن....) **-- ولذلك نظائر في الشرع واللغة :**

أما في الشرع : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ-رضى الله عنه- قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ

[7] مجموع الفتاوى (18/ 213)

[8] مجموع الفتاوى (18/ 213)وقد نص على مثله ابن كثير كما في البداية والنهاية(1/13) وانظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح النونية(1/377)

تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ" [9]
فقوله رضى الله عنه "وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ.."
أي أول كلامه بالمدينة ، وليست بالطبع أول كلامه على الإطلاق .
* و***نظير ذلك من اللغة :***
إذا قال عمرو " أول ما رأيتُ زيداً أطعمته "
فهل معنى ذلك أنه رأه للمرة الأولى ؟؟!! ، لا، فهو قد رأه كثيراً من قبل ، ولكنه فى هذه المرة أول ما رأه أطعمه .
***** قال خليل هراس** :
قَوْلِهِ - صلى الله عليه وسلم -: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ " صريح أن التقدير إنما وقع بعد خلق العرش ، و التقدير وقع عند أول خلق القلم ، بلا مهلة ، لقوله صلى الله عليه وسلم :
" إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب .... يعني : أنه عند أول خلقه للقلم قال له : اكتب بدليل الرواية الأخرى " أول ما خلق الله القلم قال : له اكتب " . بنصب أول على الظرفية ، و نصب القلم على المفعولية ، و أما على رواية رفع أول والقلم ؛ فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم – يعني : عالم الأقلام – ليتفق الحديثان ؛ إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق التقدير ، و التقدير مقارن لخلق القلم ، و في اللفظ الآخر : " لما خلق الله القلم قال له : اكتب . فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة بقدرة الله عزوجل " . [10]

---
[9] أخرجه أحمد(23835) والترمذي(2485) ,وانظر صَحِيح الْجَامِع:(7865)
[10] الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية "شرح النونية"(1/168)

قال ابن القيم-رحمه الله- في نونيته:

والناسُ مختلفونَ في القلمِ الذي *** كُتب القضاءُ به من الدَّيانِ

هل كان قبل العرشِ أو هو قبلُهُ *** قولانِ عندَ أبي العلا الهمداني

والحقُ أنَّ العرشَ قبلُ لأنه *** عند الكتابةِ كان ذا أركانِ .[11]

تنبيه مهم * :**

إذا كان الخلاف في أول المخلوقات واقع فيما ذكرنا أعلاه ، لذا فما هو مشتهر بين العامة من أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -هو أول خلق الله تعالى ، فهذا مما لا يصح فيه دليل .
فلو كان النبى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أول خلق الله - تعالى- لكانت هذه منقبة وفضيلة عظيمة تقتضى أن يُظهرها النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويحدِّث بها أصحابه –رضى الله عنهم- من باب قوله تعالى" وأما بنعمة ربك فحدِّث " ، كما أخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خليل الرحمن ، وأنه خير ولد آدم عليه السلام . [12]

---

[11] الكافية الشافية "نونية ابن القيم"(ص/65)

[12] أما الحديث المشهور على ألسنة الصوفية ورسائلهم (أول ما خلق الله هو نور نبيك يا جابر...)فهو حديث موضوع ، لا أصل له في شيء من كتب الحديث ، ولم يثبت له سند متصل في كتب الحديث حتى كتب الموضوعات ، وإنما هو مشتهر على ألسنة الصوفية ونحوهم . قال السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي(1/223-325) هو حديث ليس له إسناد يعتمد عليه.ا.هـ وقال محمد زياد التكلة في كتابه "مجموع في كشف حقيقة الجزء المفقود من مصنف عبدالرزاق" : ((وهذا حديث باطل لا أصل له، لعن الله واضعه، وفيه ما هو مصادم لعدة نصوص صريحة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة في الخلق وغيره، وليس في شيء من كتب الإسلام مسنداً)
** كذلك يقال : ما ذكر في الحديث السابق أن النبي –صلى الله عليه وسلم- مخلوق من نور : ، فهذا كلام باطل ؛ فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم (خلقت الملائكة من نور و خلق إبليس من نار السموم و خلق آدم عليه السلام مما قد وصف لكم))
ففي ذلك إشارة أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور ، دون آدم و بنيه .
* وكذلك هو خبر باطل لمعارضته لبشرية النبي صلى الله عليه وسلم، إذ من

***فإن قيل :* قد صح عن الرَسُول صلى الله عليه وسلم أنه قال :** كُتِبْتَ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ "[13] ؟؟؟؟

فقد أجاب عن ذلك شيخ الإسلم ابن تيمية ، فقال رحمه الله : مراده صلى الله عليه وسلم أن الله كتب نبوته، وأظهرها وذكر اسمه، ولهذا جعل ذلك في ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله، وشقي هو أو سعيد بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه.[14]

*** من الفوائد المتعلقة بحديث الباب : مسأله القدر :

فقد ورد في حديث الباب قوله صلى الله عليه وسلم :
" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ....."

فدل الحديث على أصل عظيم من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، والتى هي إثبات القدر .

*****ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر في الشرع:**

هو الإيمان بتقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة،

المقطوع به أن صلى الله عليه وسلم من بني آدم ، وآدم خلق من طين لا من نور. **وانظر خصائص المصطفى بين الغلو والجفا (ص/83-89) وسلسلة الأحاديث الصحيحة(458)**

وكان مبتدأ أمر هذا القول عند متقدمي الإسماعيلية الباطنية ، ففي كتبهم القديمة الكثير من الأحاديث المكذوبة في أن النبي -صلى الله عليه وسلم – وعلياً- رضى الله عنه- قد خُلقا من نور الله. انظر أصول الإسماعيلية للدكتور سليمان بن عبد الله السلومي(2/459)

***أما كونه نوراً بما جاء به من الهدي فهذا مما لا شك فيه ، قال تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } [المائدة: 15]، وقال تعالى: {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: 46].

[13] أخرجه أحمد(20596) وصححه الألباني في صحيح الجامع (4581)

[14] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(ص/382)

وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه له .[15]

وهذا مما دل عليه القرآن والسُّنَّة و إجماع الأمة .

قال الله عزَّوجلَّ: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} ، ولهذه الأية سبب في نزولها ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضى الله عنه- قَالَ: " جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} **[القمر: 49]** [16]

وقال تعالى {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَالله لَّهُ لَنَا } ، وقال عزوجل : {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}

***** وأمَّا السُّنَّة :***

فقد عقد أئمة الحديث كالبخاري ومسلم –رحمهما الله- في صحيحيهما كتاباً للقدر، اشتملاَ على عدة أحاديث في إثبات القدر،نذكر منها ما يلى :

1) عن أَبِي هُرَيْرَةَ- رضى الله عنه-عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسى فَقَالَ لَهُ مُوسى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَحَجَّ آدَمُ مُوسى ثَلاَثًا [17] .

2) أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه-عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ، لاَ مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ . [18]

---

[15] القضاء والقدر (ص/ 39)د. عبدالرحمن المحمود.

[16] أخرجه مسلم (2656) وانظر أسباب نزول القرآن للنيسابوري(ص/419)

[17] متفق عليه.

[18] متفق عليه.

3) عَنْ حُذَيْفَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ» ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ .[19]
4) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضى الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لاَ يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ القَدَرُ وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[20]

5) وعن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ شيء بقدر، حتى العَجز والكيس، أو الكيسُ والعجز .[21]

*** مراتب الإيمانُ بالقدر :

1 - المرتبةُ الأولى : العِلْمُ :
وهو علم الله الأزلِيّ في كلِّ ما هو كائنٌ ، فإنَّ كلَّ كائنٍ قد سبق به علمُ الله أزلاً، ولا يتجدَّد له علْمٌ بشيءٍ لَم يكن عالماً به أزلاً، قا تعالى {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} **[طه:110]**
وذلك يقتضى الإيمان بعلم الله - عز و جل - المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم واحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته

---
[19] متفق عليه.
[20] متفق عليه.
[21] **رواه مسلم (2655)**وأحمد(**5893**)

ومبدأه ومنتهاه كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى" هو الله الذي لا أله ألا هو عالم الغيب والشهاده"**(الحشر/22)** .[22]

وقد اتفق على الإيمان بالعلم السابق الرسلُ عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة، ولم يخالف إلا مجوس الأمة -غلاة القدرية.[23]

** أقسام علم الله :

(الله - عزوجل - يعلم ما كان ، وما هو كائن ، ويعلم ما سيكون ، وما لم يكن *لو كان كيف سيكون)*

والله تعالى يعلم ما كان من الأمور التي مضت ، منذ بدء الخلق والآجال ، ويعلم ما هو كائن ، قال الله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) [الأنعام:59]

ويعلم ما سيكون ، قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ***(لقمان/34)***

والله - تعالى - يعلم مالم يكن لو كان كيف سيكون ، بمعنى أن الله -تعالى- يعلم الأمور التى ما قدَّرها ،لو وقعت فكيف سيكون حال وقوعها .

*** قال ابن كثير :**

أخبر الله –تعالى- بأنه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ ولهذا قال تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا

---

[22] معارج القبول(3/920)

[23] شفاء العليل(ص/29)

زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ } فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا، كما قال تعالى: { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأنعام: 28] وقال تعالى: { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ } [الأنفال: 23] وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ } **[النساء: 66-68]** ، والآيات في هذا كثيرة .[24]

*** ومن السنة :: ***

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سئل عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» [25]

**** قال النووي :***

وفي قوله- صلى الله عليه وسلم- " الله أعلم بما كانوا عاملين " بيان لمذهب أهل الحق أن الله علم ما كان، وما يكون ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وقد سبق بيان نظائره من القرآن والحديث. [26]

*****إشكال والجواب :**

قول الله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد:31) وقوله تعالى (لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ)(المائدة: الآية94) وقوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) **(آل عمران:142)** وأمثال هذه الآيات مشكلة، لأنَّ ظاهرها تجدد علم الله عزّ وجل بعد وقوع الفعل ؟؟

وجواب ذلك من وجهين :

الأول هو جواب إجمالي ، فنقول :

---

[24] تفسير القرآن العظيم (4/160)

[25] متفق عليه.

[26] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(16/211)

أنَّ غلاة القدرية قد تعلقوا بمثل هذه الأيات على زعمهم بأن علم الله – تعالى- بأفعال العباد مستأنف ، وأن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، فهؤلاء كفرة بلا شك ؛ لإنكارهم ما دلّ الكتاب والسنة عليه دلالة قطعية، وأجمع عليه المسلمون بأزلية علم الله .

فمثل هذه الأيات إنما هي من المتشابه الذى يُرد إلى المحكم من الأدلة التى دلت أن علم الله -تعالى- واسع وشامل لكل شيء ، كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فهذا عموم لا يقبل أي تخصيص.

***** ثانياً :وهو جواب تفصيلى :**

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

أن المراد بالعلم في هذه الأيات يراد بها شيئان:

أ) ***الأول :***

علم رؤية وظهور ومشاهدة، أي لنرى، ومعلوم أن علم ما سيكون ليس كعلم ما كان؛ لأن علم الله-تعالى- بالشيء قبل وقوعه علمٌ بأنه سيقع، ولكن بعد وقوعه علمٌ بأنه وقع.

ب)الثانى :

أن المراد بالعلم إنما هو الذي يترتب عليه الجزاء ، أي لنعلم علماً يترتب عليه الجزاء ، وذلك كقوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ)(محمد/31) . قبل أن يبتلينا قد علم من هو المطيع ومن هو العاصي، ولكن هذا لا يترتب عليه لا الجزاء ولا الثواب. ا.هـ. [27]

---

[27] قلت : وبيان ذلك في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى) فلو أن الله -تعالى- عاقب أهل الكفر والعصيان بناءً على علمه الأزلي السابق فيهم ، لقالوا لو جاءتنا الرسل لكنا مؤمنين ، وهذه دعاوى كاذبة ،فهم كما قال الله -تعالى- فيهم (وَإِنْ

**** قال القرطبي :***

قوله:" حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ " .
وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء، لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم. فتأويله: حتى نعلم المجاهدين علم شهادة، لأنهم إذا أمروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا، فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة." ونبلوا أخباركم" نختبرها ونظهرها .ا.هـ[28]

*. ***قال الشنقيطي :***

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ) ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه - سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا - بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون، وقد بَيَّن أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: (وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) [3 \ 154]
فقوله: (والله عليم بذات الصدور) بعد قوله: (ليبتلي) دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالما به، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ; لأن العليم بذات الصدورغني عن الاختبار.[29] *.*

****** المرتبة الثانية : الكتابة :***

وهو الإيمان بأن الله - تعالى- كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، فكل ما يكون من الذوات، والصفات، والأقوال، والأفعال، والحركات، والسكنات، والرطب، واليابس مكتوب، قال الله تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي

يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ...)
[28] الجامع لأحكام القرآن(16/254)
[29] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(1/46)

ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام:59].

وقال سبحانه {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد:22].

وقال سبحانه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} [الحج:70] وهو اللوح المحفوظ، وهذه الآية فيها إثبات العلم وإثبات الكتابة.

وقال سبحانه: {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} **[يس:12]** وهو اللوح المحفوظ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [30]وقال سبحانه: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد:39].

---

[30] أي أن الإنسان لا يأخذ في هذه الدنيا إلا ما كتب له من الرزق والأجل ، فإذا جاء أجله لا يتقدَّم ولا يتأخر، فلكل إنسان أجل محدد، حتى الذي قتل ظلماً وعدواناً قد انتهى أجله، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: إن المقتول لو لم يقتل لعاش.
فنحن نقول: بل المقتول قد انتهى أجله، لكن الأسباب مختلفة، فهذا أجله ينتهي على فراشه، وذاك أجله ينتهي بالمرض، وهذا أجله ينتهي بأن يُقتل.
* وقد سئل شيخ الإسلام عن المقتول: هل مات بأجله؟ أم قطع القاتل أجله؟
- فقال –رحمه الله- : المقتول كغيره من الموتى ، لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله. والله يعلم ما كان قبل أن يكون؛ وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولاً . ولو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت ، وكلاهما خطأ؛ فإن الله علم أنه يموت بالقتل فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديراً لما لا يكون لو كان كيف كان يكون ، وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه . فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدرموته في هذا الوقت ، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل. مجموع الفتاوى(8/518) قلت : وعليه فمن الأخطاء الشائعة على ألسنة بعض الناس قولهم "لو صبر القاتل على المقتول لمات وحده "

***والسنة :**

***1) حديث الباب** : وفيه قال الرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :*
" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "

2) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)[31] ***قال * النووي:***

قال العلماء: المراد: تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره , لا أصل التقدير , فإن ذلك أزلي لا أول له. [32].

قال ابن القيم:

"وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم *القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب"* [33]

**** وهنا سؤال : هل هذه المرتبة من مراتب القدر- التى هى الكتابة – تقبل التغيير ؟**

الجواب :

أما المكتوب في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ، فهذا لا تتغير الكتابة الموجودة فيه.

وأما الكتابة التى هي في أيدي الملائكة من الصحف فإن الله – تعالى- يمحو منها ما يشاء ويثبت، وهذا معنى قوله تعالى { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد:39] والمراد: بأم الكتاب اللوح المحفوظ، فاللوح المحفوظ ، لا يتغير شيء مما كتب فيه، وأما ما في الصحف التي مع

---

31 أخرجه مسلم (2653) والترمذي (2156)

32 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(16/203) وتحفة الأحوذي (5/ 444)و فيض القدير شرح الجامع الصغير(4/510)

33 شفاء العليل(ص/ 41

الملائكة فهذه التى يقع فيها المحو والتغيير . والملائكة يكتبون ما يؤمرون به من آجال وأرزاق ، كما ورد في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ::
" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ الْمَلَكَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ)[34]. فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم المَلَك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلق .[35]

***** وعليه فالقضاء نوعان:**

قضاء مبرم:

وهو القدر الأزلي، وهو لا يتغير، كما قال تعالى: (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) {قّ : 29}.

وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأم حبيبة رضى الله عنها : قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ "[36]

قال النووي: إن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدَّره الله وعلمه في الأزل، فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك. اهـ[37]

2) قضاء معلَّق:

وهو الذي في الصحف التي في أيدي الملائكة، فإنه يقال: اكتبوا عمر فلان إن لم يتصدق كذا ، وإن تصدق فهو كذا، وفي علم الله وقدره الأزلي أنه سيتصدق أو لا يتصدق .

---
[34] متفق عليه.
[35] فتح الباري(10/416)
[36] أخرجه مسلم (2663)
[37] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(16/213)

فهذا النوع من القدر ينفع فيه الدعاء والصدقة، لأنه معلق عليهما، وهو المراد بقوله تعالى: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (الرعد 39ـ 38) وهو معنى صلى الله عليه وسلم : لا يرد القضاء إلا الدعاء .[38]

قلت :

وعلى ذلك يُحمل ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- مرفوعاً : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ

---

[38] شفاء الضرربفهم القضاء والقدر(1/3)

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية سؤالا طويلاً وفيه: هل شرع في الدعاء أن يقول: اللهم إن كنت كتبتني كذا فامحني واكتبني كذا، فإنك قلت: يمحو الله ما يشاء ويثبت؟ وهل صح أن عمر كان يدعو بمثل هذا؟ ***فكان مما أجاب به رحمه الله:***

والجواب المحقق أن الله يكتب للعبد أجلا في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب ... وهذا معنى ما روى عن عمر أنه قال: اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ـ والله سبحانه عالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها، فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالما به، فلا محو فيه ولا إثبات، وأما اللوح المحفوظ: فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين، والله سبحانه وتعالى أعلم. هـ.(مجموع الفتاوى(14/491))

وقال ابن القيم : المقدور قدر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجرداً عن سببه، ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهكذا، كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر ... وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب، فإذا قدر وقوع المدعو به لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب. اهـ. (الجواب الكافي(ص/17))

*‏**وقال الغزالي**: فإن قيل: ما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فإن الدعاء سبب رد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن البذر سبب لخروج النبات من الأرض وكما أن الترس يدفع السهم، كذلك الدعاء يرد البلاء. اهـ. وانظر كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه للسندي(1/47)

مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ:
أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ ......[39] .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه "[40]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

ما كتبه الله وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب ، فإن الله يأمر الملائكة أن تكتب للعبد رزقاً ، وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
" من سرَّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " وكذلك عمر داود زاد ستين سنة فجعله الله مائة بعد

[39] أخرجه أحمد(2270) والترمذي(3368), انظر صحيح الجامع(: 5208)

[40] أخرجه مسلم ((2557)) ، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (16/330، 331) :
قوله صلى الله عليه وسلم "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " ينسأ مهموز أي : يؤخر والأثر الأجل لأنه تابع للحياة في أثرها وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص { فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون } وأجاب العلماء بأجوبة : الصحيح منها :
الأول : أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها من الضياع في غير ذلك .
الثاني : أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو في معنى قوله تعالى { يمحو الله ما يشاء ويثبت } فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث، والله أعلم .

أن كان أربعين _ رواه الترمذي وغيره _ ومن هذا الباب قول عمر " اللهم إن كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت" [41]

3- المرتبة الثالثة: المشيئةُ :

المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر هي: المشيئة، المشيئة النافذة، أي: الماضية التي لا راد لها ، من نَفَذَ السهم نفوذًا إذا خرق الرمية فهي نافذة .

فهذه المرتبة هي إثبات نفوذ قدرته ومشيئته وشمول قدرته وهي الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فما في السماوات وما في الأرض من حركةٍ ولا سكون إلا بمشيئة الله، ولا يكون في ملكه ما لا يريد البتة.

**** وهذه المرتبة ثابتةٌ بالكتاب والسنة وأجمع عليها سلف الأمة:** قال تعالى : (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّه)(الكهف/23) وقال الله تعالى: {وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } [البقرة: 253]. ،و قال اللهُ عزَّ وجلَّ: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون) وقال: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } .

و مذهب أهل السنة والجماعة:
أن الله - عز وجل - مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يُعصى ما خلق إبليس، فكفْر الكافرين، وإيمان

[41] مجموع الفتاوى((8/540) وانظر تأويل مختلف الحديث (ص/238) مشكل الآثار (8/81، 82)قلت : وأثر عمر- رضى الله عنه – مشهورقد رواه ابن بطة في الإبانة(1565) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة(1207)وقول عمر هذا يتنزل على ما في علم الملائكة ، لا على ما في أم الكتاب ، فإنه قال – رضى الله عنه – بعد تلك الدعوة " فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب" ، وممن دعا بمثل هذه الدعوة : ابن مسعود كما في مصنف ابن أبي شيبة(6/68)،وابن الزبير كما في أخبار مكة(1/462)

المؤمنين، بقضائه - سبحانه وتعالى - وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه .[42]
وأهل السُّنَّة والجماعة وسَطٌ في هذه المرتبة بين الجبرية الغلاة في إثبات مشيئة الرب، والقدرية النفاة لمشيئته عزوجل .[43] فإنَّ أهل السنة والجماعة أثبتوا للربِّ مشيئةً عامَّة ، وأثبتوا للعبد مشيئةً، وجعلوا مشيئةَ العبد تابعةً لمشيئة الله تعالى ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}
فلا يقع في مُلك الله ما لَم يشأه الله تعالى .
وبهذا يُجابُ عن السؤال الذي يتكرَّر طرحُه، وهو:

[42] عقيدة السلف وأصحاب الحديث(ص/285)
[43] وما يُلحق بمن ضل في هذا الباب فرقة الأشاعرة القائلين بنظرية الكسب ،فهم وإن كانوا وافقوا أهل السنة في إثبات خلق الله أفعال العباد الاختيارية والاضطرارية، إلا إنهم نسبوا فعل الإنسان الإختياري إليه كسباً ، لا خلقاً ،وهذا إن كان حقاً ولكن أريد به باطلاً ، إذ إنهم عرفوا الكسب كما قال شارح أم البراهين (ص45) بأن: "الكسب مقارنة القدرة الحادثة للفعل من غير تأثير".،وعليه فحقيقية قول القوم إنما هوالإثبات اللفظى المحض لتأثير قدرة العبد في الفعل.
فهم بذلك ارادوا الفرار قول الجبرية فقالوا بالكسب، وهو إثبات للعبد اختياراً وقدرة حادثة.
كما إنهم أرادوا الفرار من قول المعتزلة، فقالوا بعدم تأثير قدرة العبد الحادثة في الفعل، فلا يوجد تأثير للأسباب في مسبباتها . مما أوقعم في الجبر المتوسط ، وهذا ما دفع التفتازاني في (شرح المقاصد 4/263) إلى أن يقول: "فالإنسان مضطر في صورة المختار" وقال الرازي في (محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ص288) بعد ان أورد إشكالات على نظرية الكسب:
"وعند هذا التحقيق يظهر أن الكسب اسم بلا مسمى"، وهذا حقيقة قولهم إذ يلزم مقارنة القدرة الحادثة للفعل القول بتكليف العاجز؛ لأن هذه المقارنة لا تؤثر أصلاً. إذ أن إثبات الأشعرة مقارنة القدرة الحادثة للفعل ليس بشيء ولا طائل تحته، إذ لا مزية من إثباتها ما لم تؤثر في الفعل أصلاً.
لذلك أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع أن مسألة الكسب عند الأشاعرة لا حقيقة له ، إذ ما دام العبد ليس بفاعل، ولا له قدرة مؤثرة في الفعل فالزعم بأنه كاسب، وتسمية فعله كسباً لا حقيقة له؛ لأنه القائل بذلك لا يستطيع أن يوجد فرقاً بين الفعل الذي نفاه عن العبد، والكسب الذي أثبته له، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية بأن قولهم هذا قريب من الجبر الذي صرح به الجهم.

هل العبدُ مسيَّرٌ أو مُخيَّر؟
فلا يُقال: إنَّه مسَيَّرٌ بإطلاق، ولا مُخيَّرٌ بإطلاق، بل يُقال: إنَّه مُخيَّرٌ باعتبار أنَّ له مشيئةً وإرادةً، وأعماله كسب له يُثاب على حَسَنها ويُعاقَب على سيِّئها، وهو مسيَّرٌ باعتبار أنَّه لا يحصل منه شيءٌ خارجٌ عن مشيئة الله وإرادته وخلقه وإيجاده. وبيان ذلك في قَول الرسول صلى الله عليه وسلم:
«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ،أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى} [الليل: 6] الآيَةَ.[44]

وكلُّ ما يحصلُ من هداية وضلال هو بمشيئة الله وإرادته، قال تعالى (مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(الأنعام/39) وقد بيَّن الله للعباد طريقَ السعادة وطريق الضلالة، وأعطاهم عقولاً يُميِّزون بها بين النافع والضار، فمَن اختار طريقَ السعادة فسلكه انتهى به إلى السعادة، وقد حصل ذلك بمشيئة العبد وإرادته، التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلك فضلٌ من الله وإحسان، ومَن اختار طريقَ الضلالة وسلكه انتهى به إلى الشقاوة، وقد حصل ذلك بمشيئة العبد وإرادته، التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلك عدلٌ من الله سبحانه، قال الله عزَّ وجلَّ:
{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} ، أي: طريقَي الخير والشرِّ، وقال: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} ، وقال: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً}

4- المرتبة الرابعة : الخلق :

قال تعالى: {إنا كل شيء خلقناه بقدر}[القمر: 49] ، وقال

---

[44] متفق عليه.

تعالى (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [45] ***[الصافات:95-96]*** و قال تعالى:(اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الرعد:16], وقال عزوجل (وهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: 33] وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله يصنع كل صانع وصنعته "[46] 2) وعن زيد بن أرقم -رضي الله عنه – أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

---

[45] اختلف العلماء في قوله تعالى ((وما تعملون)) هل (ما)هنا مصدرية ، فيكون المعنى : خلقكم وخلق أعمالكم ، أم هي موصولة ، ويكون المعنى " خلقكم وخلق الذي تعملون من اصنام وغيرها " ؟ * قيل أنه مصدرية ؛ قال البخاري : باب أفعل العباد : فأما أفعال العباد فقد حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وتلا بعضهم عند ذلك: {والله خلقكم وما تعملون} [الصافات: 96] ، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة (خلق أفعل العباد/46) -و قد رجَّح الزمخشري في تفسيره الكشاف أنها موصولة ، ولكنه يريد بذلك نصرة مذهبه الاعتزالي الذي يتبنى مسألة أن أفعال العباد من خلقم هم .
**وأما من ذهب من أهل السنة إلي ترجيح أنها مصدرية إنما كان لاثبات أن أفعال العباد من خلق الله ، وذلك لابطال مذاهب القدرية .
والراجح أنها موصولة ؛ لأن السياق يقتضي ذلك ، فأن إبراهيم -عليه السلام -إنما يقرر فساد عملهم في انهم يعبدون ما هو مخلوق مثلهم ، وتأمل في أول الأية يخبرك عن آخرها ؛ فأنه في أول الأية قال ((أتعبدون ما تنحتون))
فالخطاب إذن متوجه لما يعبدون مما صنعته أيديهم، فيكون المعنى :
أتعبدون ما تنحت أيديكم ، والله خلقكم وأياها ؟؟!!!
* * قال ابن القيم ((أما استشهاد بعضهم بقوله تعالى " والله خلقكم وما تعملون " بحمل "ما " على المصدر أي : خلقكم وأعمالكم) فالظاهر خلاف هذا وأنها موصولة ، أي خلقكم وخلق الأصنام التي تعملونها ، فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة اللزوم ؛فإن الصنم اسم للآلهة التي حل فيها العمل المخصوص فإذا كان مخلوقا لله كان خلقه متناولا لمادته وصورته ا.هـ
ثم قال رحمه الله:
((فإن كانت ما مصدرية كما قدَّره بعضهم فالإستدلال ظاهر وليس بقوى ، إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الألهة ونحتها وغير ذلك، فالأولى أن تكون ما موصولة أي والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له)) ليس فيها أنه يبرر شركهم بالله، ويقول: إن عملكم مخلوق لله ،فأنتم بريئون من اللوم عليه، كلا!!! لأننا لو قلنا ذلك لكان يحتج لهم ولا يحتج عليهم، ولكن هو يحتج عليهم وليس يحتج لهم.ا.هـ وانظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر(ص/110)

كان يقول: ((اللهم آتِ نفسي تقواها, وزكَّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليها ومولاها ...)) [47] والشاهد من هذا الحديث قوله: ((اللهم آتِ نفسي تقواها وزكَّها ...))
فالفاعل هو الله تعالى, فهوالذي يُطلب منه ذلك .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية:
ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء ... "[48]

***** وهنا إشكال :**

قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) فهل من خالق مع الله ؟

والجواب : أن كلمة الخلق تطلق على عدة معانٍ :

الأول : أن الخلق هنا بمعنى الصنع ، فالمعنى: تبارك الله أتقن الصانعين.

وهذا جار على لغة العرب، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت ***وبعـض القوم يخلق ثم لا يفري .

الثاني : أن الخلق بمعنى التقدير، فإنه سبحانه هو أحسن المقدِّرين عزوجل.

الثالث: أن المعنى : أن الله –تعالى- هو أحسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم .

الرابع : وهو أحسنها : أن الخلق يطلق على فعل الرب ، ويطلق كذلك على فعل العبد ، فنثبت للمخلوق خلقاً، لكنه ليس كخلق الله تعالى: فخلق الله -

[46] أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد(25) وابن أبي عاصم في السنة (257و 358) وصححه الألباني في الصحيحة (1637) .

[47] رواه مسلم (2722).

[48] مجموع الفتاوى (8/ 459)

تعالى- إنما هو إيجاد للأشياء من العدم كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)[النحل: 17] وقوله -عَزَّ وَجَلَّ –في الحديث القدسي : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً " [49]
** وأما خلق العبد للأشياء إنما هو تحويل الشيء من صورة إلى صورة ، فهو تصرف في شيء خلقه الله تعالى .
ونظير ذلك في قول إبراهيم –عليه السلام- لقومه (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ..) فسمّي نحتهم للأصنام "خلقاً " . كذلك ماقد ورد من فعل عيسي عليه السلام (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ..)

***ومن ذلك ما جاء في الصحيحين أنه يقال للمصورين يوم القيامة " أحيوا ما خلقتم " ومعلوم أنَّ المصور لم يوجد شيئاً من العدم ، إنما حوَّل الطين، أو الحجر إلى صورة إنسان أو طير ، و كل هذا من خلق الله تعالى .
قال القرطبي:

يقال لمن صنع شيئاً : خلقه ، ولا تُنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع ؛ وإنما هي منفية بمعنى الاختراع وإيجاد من العدم.[50]

*** المنازعون في مراتب القدر ::

فرقة القدرية هو أول من نازع في هذه القضية العقدية ، حيث قامت أصولهم على نفي خلق الله لأفعال العباد ، من خير وشر وطاعة ومعصية ، وأن الله –تعالى - لم يقدَّرها ولم يشأها ولم يخلقها ،ويزعمون أن الله -تعالى- أمر ونهى وهو لا يعلم

---
[49] أخرجه البخاري(7559)
[50] الجامع لأحكام القرآن (12 / 110)

من يطيعه ممن يعصيه ، وأن الأمر أنف أي: مستأنف ، أي: لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه.

**** *والقدرية قسمان* : غلاة ومتوسطون:**

أ) الغلاة المتقدِّمون :

أنكروا المرتبتين الأوليين (علم الله وكتابته) وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وكان أول من أظهر ذلك بالبصرة معبد الجهني ، وأخذ عنه هذا المذهب غيلان الدمشقي . فرد عليه بقية الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وواثلة بن الأسقع وغيرهم رضي الله عنهم. وهم الذين كفَّرهم الأئمة، مالك والشافعي وأحمد، وقال فيهم الإمام الشافعي -رحمه الله-: ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن أنكروه كفروا.[51]

ب) المتأخرون :

آمنوا بمرتبتي العلم والكتابة ، ولكن جحدوا عموم المرتبتين الأخريين ، فأنكروا علم الله المتقدم وكتابته السابقة وأقروا بعموم المشيئة والخلق. فخالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال ، وقالوا بعموم مشيئة الله وخلقه ، إلا أفعال العباد ، فقالوا بأن الله على ما يشاء قدير ، ولما كانت أفعال العباد ليست مما شاءه الله ، فليست داخلة تحت قدرته . وهذا المذهب مع كونه مذهباً باطلاً فهو أخف من المذهب الأول .

---

51 يقال للقدري : أتؤمن أنَّ الله يعلم ما كَانَ وما سيكون إِلَى قيام الساعة، ويعلم من سيطيعه ومن سيعصيه، فإذا أقر بهذا خصم حينئذ يقال له: من علم ذلك، أليس هو الذي خلقه؟! أليس هو الذي أوجده؟! أليس مبنياً عَلَى العلم ، والعلم مقتضاه الحكمة والعدل والرحمة؟!

وإذا أنكروا علم الله كفروا؛ لأنهم أنكروا ما هو معلوم من كتاب الله وعند جميع الْمُسْلِمِينَ بالضرورة. قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي - رحمه الله - وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافرًا؟ قال: "إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله عز وجل لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا فعلِم، فجحد علم الله عز وجل، فهو كافر"؛ (السنة لعبدالله بن أحمد، رقم : 835) . .

وهؤلاء هم من قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية :
هؤلاء فهم مبتدعون ضآلون ، لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك؛ وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم. وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له .[52]

الرد على القدرية :

اعلم أولًا أن أصل الخلط والسقط عند القدرية إنما هو في عدم تفريقهم بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فلا شك أن الله -تعالى- يبغض الكفر والفسوق والعصيان ، ولكنه قدَّر وجود هذه الأشياء لحكم بليغة ، وذلك وفق إرادته الكونية ، لا الشرعية ، ولو أنهم فهموا الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية لنجوا من تلك الفتنة .

فالإرادة الكونية :
هي مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة تستلزم وقوع المراد، ولا يلزم أن يكون مرادها محبوبا لله مرضيا له. بل قد يكون مكروها مسخوطا له، ككفر الكافرين، ومعاصي العاصين، ووجود المفسدين، وقد يكون معناها محبوبا مرضيا لله تعالى، كوجود إيمان المؤمنين، وطاعات الطائعين ووجود رسل الله وعباده المخلصين.

الثانية الإرادة الشرعية: وهي إرادة دينية يحبها الله ويرضاها لعبادة، وهي غير لازمة التحقق.

فبفهم هاتين الإرادتين يدرك الإنسان أن كل من الخير والشر بيد الله تعالى، وهو من تقديره سبحانه وتعالى .
فالإرادة الشرعية : هي المتضمنة للمحبة والرضى ، والإرادة الكونية : هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث .

***** فإرادة الله للشيء قد تقتضى محبته له ، وقد لا***

[52] مجموع الفتاوى(7/385)

تقتضى ذلك : فمثال ذلك في قوله تعالى
(فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا)[الأنعام: 125]
** وتأمل قول الله تعالى :(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)(البقرة/253) فالله –تعالى- لا يحب وقوع الاختلاف والاقتتال ، ولكنه شاءه -عزوجل- وقدَّر وقوعه ، فهو سبحانه يفعل ما يريد ، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا بأمره وتقديره . [53] .

***** فإن قالوا :**

فكيف تستقيم الحكمة في تعذيب المكلفين على ذنوبهم على القول بأن الله - تعالى -خلقها ؟ فيهم فأين العدل في تعذيبهم على ما هو فاعله وخالقه فيهم؟

**** فالجواب من وجوه :**

1**) الأول** : إنه –تعالى -إنما يعذبهم على ما أحدثوه من ذنوب ، وكان بمشيئتهم وقدرتهم، وكونه تعالى خالق أفعالهم لا يمنع أن تكون أفعالهم مضافة إليهم على الحقيقة ، فلا تعارض بين الأمرين إلا عند من ضاق أفقه .

2) الثاني :

[53] وفي المناظرة التى وقعت بَين الْأُسْتَاذ أبي إِسْحَاق الإسفرايني وَالْقَاضِي عبد الْجَبَّار المعتزلي
قَالَ عبد الْجَبَّار فِي ابْتِدَاء جُلُوسه للمناظرة "سُبْحَانَ من تنزه عَن الْفَحْشَاء"
فَقَالَ الْأُسْتَاذ مجيبا : "سُبْحَانَ من لَا يَقع فِي ملكه إِلَّا مَا يَشَاء "، فَقَالَ عبد الْجَبَّار: أفيشاء رَبنَا أَن يعْصى
فَقَالَ الْأُسْتَاذ: أيعصي رَبنَا قهرا؟!
فَقَالَ عبد الْجَبَّار أَفَرَأَيْت إِن مَنَعَنِي الْهدى وَقضى عَليّ بالردى أحسن إِلَيّ أم أساء ؟ فَقَالَ الْأُسْتَاذ : إِن كَانَ مَنعك مَا هُوَ لَك فقد أساء ، وَإِن مَنعك مَا هُوَ لَهُ فَيخْتَص برحمته من يشَاء.
فَانْقَطع عبد الْجَبَّار. وانظرطبقات الشافعية الكبرى (4/262)

إن ما يبتلى به العبد من الذنوب، وإن كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة للعبد على ذنوب قبلها ، وبما كسبت أيدى الناس ، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب والأمراض التي يورث بعضها بعضاً ، وما ربك بظلام للعبيد.

ثاني االجبرية :

الجَبريَّة: هم أتباع الجهم بن صفوان ، ويرجع سبب التسمية بذلك لأنهم قالوا: إن العبد مُجبَر على أفعاله، ولا اختيار له ، ولا إرادةٍ ولا مشيئة ، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر.

فالعبد عندهم مسيَّر، لا خيار له أبدًا؛ فهو كالريشة في مهَبِّ الريح، وعلى هذا فإنه يكفيه في مسألة الحساب والجزاء أن يؤمن بالله تعالى بقلبه فقط، مهما فعل من الكفر والمعاصي حتى الشرك، تعالى الله عما يقولون!
فمن أشرك بالله عندهم ما دام عارفًا بالله فهو مؤمن! فهؤلاء هم الجَبريَّة الغلاة؛ لأنهم يرون أنه ما دام الفعل كله لله تعالى، فلا حساب على العباد إلا بما يتعلق بالمعرفة في القلب، فمن عرَف الله سبحانه نجا، ومن أنكر الله هلك، و المرء وإن عاصيًا لله، فهو مطيع لإرادته.[54]
ومذهب الجَبريَّة مِن أخبث المذاهب وأبطلِها؛ لأنه يجعل الله - تعالى - ظالمًا لعباده، نعوذ بالله من الخذلان .

ومن شبهات الجَبريَّة :

[54] وقد قرأ قارئ بحضرة بعض الجَبريَّة: قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [ص: 75]، فقال: هو الله منعه،ولو قال إبليس ذلك لكان صادقًا، وقد أخطأ إبليس الحجة، ولو كنت حاضرًا لقلت له: أنت منعته.
و سمع بعض الجَبريَّة قارئًا يقرأ: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى [فصلت: 17]، فقال: ليس مِن هذا شيء، بل أضَلَّهم وأعماهم.

قوله تعالى: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [الأنفال: 17).

وقالوا: هذا دليل على أن الفعل ليس للإنسان، وإنما هو لله؛ لأن الله هو الذي رمى!!

***وقد أجاب أهل السنة على هذه الشبهة:**

أن المعنى: ما أصبتَ الهدف، ولكن الله -تعالى-هو الذي وفَّق لإصابته؛ فأنت الذي رميتَ والله –تعالى- هو الذي وفَّق للإصابة. ، بدليل أنه تعالى أثبت لرسوله-صلى الله عليه وسلم- ذات الفعل وأضافه له ، فقال (إذ رميتَ..)

(2) وقالوا: أنَّ العمل ليس سببًا في دخول الجنة - بالحديث التالي:

روى الشيخانِ عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لا يدخل الجنة أحد منكم بعمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يتغمدَني الله بمغفرةٍ ورحمةٍ)) متفق عليه.

الرد على هذه الشبهة:

(1) الجواب:
قد بيَّن الله -تعالى- أن الأعمال الصاحة أسباب دخول الجنة، كما قال (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل:32] ، وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) [الكهف:107] ، وأما الحديث (لا يدخل الجنة أحد منكم بعمله))، يبين أن دخولهم الجنة ليس بمجرد العمل، بل لا بد من عفو الله ورحمته سبحانه وتعالى، فهم دخلوها بأسباب أعمالهم، ولكن الذي أوجب ذلك رحمته سبحانه، وعفوه ومغفرته، فالباء المنفية في

قوله صلى الله عليه وسلم "" لا يدخل الجنة أحد منكم بعمله ""هنا باء العوض، يعني: ليست عوض العمل، والباء المثبتة في قوله تعالى(ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) هي باء السببية ، أي بسبب رحمة الله وعفوه سبحانه وتعالى.[55]

***** ومن الرد على الجَبريَّة:***

قوله تعالى: مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ [آل عمران: 152]، وقوله تعالى: وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ [البقرة: 272].

وقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى))؛ (البخاري حديث: 1/ مسلم: 1907(.

والأدلة كثيرة أن فعل العبد صادر باختياره، لكن هذا الاختيار تابع لمشيئة الله؛ لقوله تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الإنسان: 30].

****** أما الدليل الواقعي:***

فإن كل إنسان يفعل الأفعال وهو لا يشعر أن أحدًا يجبره عليها، فيحضر إلى الدرس باختياره، ويغيب عن الدرس باختياره؛ ولهذا إذا وقع الفعل من غير اختيار لم يُنسَب إلى العبد، بل يرفع عنه إثمه .

---

[55] قال الإمام ابن القيم : أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم -أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحدٍ، وأنه لولا تغمُّدُ الله سبحانه لعبده برحمته لمَا أدخله الجنة، فليس عمل العبد، وإن تناهى، موجبًا بمجرده لدخول الجنة ولا عوضًا لها؛ فإن أعماله، وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، فهي لا تقاوم نعمة الله، التي أنعم بها عليه في دار الدنيا، ولا تعادلها، بل لو حاسبه، لوقعت كلها في مقابلة اليسير من نعمه، وتبقى بقية النعم مقتضيةً لشكرها،فلو عذَّبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالمٍ، ولو رحمه لكانت رحمته خيرًا من عمله؛ (مفتاح دار السعادة لابن القيم صـ 18).

***وكذلك قد رد علماء السنة على زعم الجَبريَّة في احتجاجهم بالقدر على المعاصي:) قال الإمام النووي :

إن قيل: فالعاصي منا لو قال: هذه المعصية قدَّرها الله عليَّ، لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك، وإن كان صادقًا فيما قاله، فالجواب: أن هذا العاصي باقٍ في دار التكليف، جارٍ عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها، وفي لومه وعقوبته زجرٌ له ولغيره عن مثل هذا الفعل، وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمُتْ .[56].

***قال الإمام ابن عثيمين - رحمه الله -:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله، ولكن ليس ذلك حجَّةً للعاصي على فعل المعصية؛ وذلك لأدلة كثيرة، منها:

(1) أن الله أضاف عمل العبد إليه، وجعله كسبًا له، فقال سبحانه: الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ [غافر: 17].

ولو لم يكن له اختيارٌ في الفعل وقدرة عليه ما نُسِب إليه.

(2) أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلِّفْه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة: 286)وقوله سبحانه: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن: 16].

ولو كان مُجبَرًا على العمل ما كان مستطيعًا على الفعل أو الكفِّ؛ لأن المُجبَر لا يستطيع التخلُّص.

(3) أن كل واحد يعلَم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلُّص منه.

(4) أن العاصي قبل أن يُقدِمَ على المعصية لا يدري ما قدر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ

[56] مسلم بشرح النووي (جـ 8 صـ 454)

ويحتج بالقدر المجهول؟ أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول: هذا ما قُدِّر لي؟!

(5) أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحُجَّة؛ قال سبحانه: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: 165].

ولو كان القدر حُجَّة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعةٍ؛قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]، وقال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: 16]، وقال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: 17]؛ فدلَّ على أن للعبد فعلًا وكسبًا، يُجزَى على حَسَنِه بالثواب، وعلى سَيِّئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره. [57]
** قول الأشاعرة :

---

[57] شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين(صـ: 94: 93).
** سؤال :
مع اجتماع الشر في الجبرية والقدرية ،،فأيهما أكثر شراً ؟
الجواب : الأكثر شراً وضلالاً هو الجبرية :
قال شيخ الإسلام :
من أثبت القدر واحتج به على إبطال الأمر والنهي فهو شر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق فإن من احتج بالقدر وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمنين والكفار وأهل الطاعة وأهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وإبليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الأولون وكفار مكة سواء. وهذا الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد.
##وقال رحمه الله :
ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله أن المعتزلة والشيعة والقدرية المثبتين للأمر والنهي، والوعد والوعيد - خير ممن يسوِّي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والنبي الصادق والمتنبي الكاذب، وأولياء الله وأعدائه ، بل هم أحق من المعتزلة بالذم .(مجموع الفتاوي(8/103))

وهؤلاء أيضا ممن خالفوا أهل السنة في هذا الباب فقالوا : حيث قالوا بما يعرف بنظرية الكسب ، وأن العبد فاعل بالاختيار ، وهو يفعل حقيقة بقدرة، لكن قدرته غير مؤثرة . فوافق الأشاعرة أهل السنة في إثبات خلق الله أفعال العباد الاختيارية والاضطرارية ، إلا إنهم نسبوا فعل الإنسان الإختياري إليه كسباً لا خلقاً ، وعرفوا الكسب كما قال شارح أم البراهين (ص45) بأن:
"الكسب مقارنة القدرة الحادثة للفعل من غير تأثير".

فهم بذلك ارادوا الفرار قول الجبرية فقالوا بالكسب، وهو إثبات للعبد اختياراً وقدرة حادثة.

كما إنهم أرادوا الفرار من قول المعتزلة، فقالوا بعدم تأثير قدرة العبد الحادثة في الفعل، فلا يوجد تأثير للأسباب في مسبباتها.

الرد :

1- تفسيرالأشاعرة للكسب بالاقتران باطل أساساً، فالكسب في اللغة هو الطلب والجمع (انظر: قاموس المحيط ص167)، وكذلك في القرآن كقوله تعالى: {أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} وقوله: {فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} إذ استعمل في فعل الصالحات والسيئات.

2- كما إن فرارهم من قول المعتزلة أوقعم في الجبر المتوسط، وهذا ما دفع التفتازاني في (شرح المقاصد 4/263) إلى أن يقول:
"فالإنسان مضطر في صورة المختار".
وقال الرازي في بعد ان أورد إشكالات على نظرية الكسب:
"وعند هذا التحقيق يظهر أن الكسب اسم بلا مسمى".
وهذا حقيقة قولهم إذ يلزم مقارنة القدرة الحادثة للفعل القول

بتكليف العاجز؛ لأن هذه المقارنة لا تؤثر أصلاً. إذ أن إثبات الأشعرة مقارنة القدرة الحادثة للفعل ليس بشيء ولا طائل تحته، إذ لا مزية من إثباتها ما لم تؤثر في الفعل أصلاً.[58] لذلك أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع أن مسألة الكسب عند الأشاعرة لا حقيقة له، إذ ما دام العبد ليس بفاعل، ولا له قدرة مؤثرة في الفعل فالزعم بأنه كاسب، وتسمية فعله كسباً لا حقيقة له . 3-

قولهم هذا هذا خلاف الشرع والمشاهدة، ويلزم عليه لوازم قبيحة باطلة . وحقيقته رجوع إلى قول الجبرية ، ويلزم عليه ما لزم على قول الجبرية ، حتى اعتبر الجويني القول بأن قدرة العبد غير مؤثرة –وهو مذهب أصحابه الأشاعرة- تكذيباً للرسل ، وإلغاء لأوامر الشرع.

ونقل الشهرستاني عنه أن " إثبات قدرة لا أثر لها بوجه، فهو كنفي القدرة أصلاً" . [59]

4-قولهم بالكسب مخالف لقول جماهير أهل السنة ، فمذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وإن له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية" [60].

كما أنه يلزم عليه لوازم فاسدة كثيرة ، تفتح باباً للإلحاد والكفر بهذا الدين، منها:

1-أنه لو كان العبد غير فاعل على الحقيقة، والله هو الفاعل حقيقة، للزم أن يكون المصلي الصائم العابد هو الله ، وأن يكون الزاني السارق القاتل هو الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

58 (محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ص288)

59 الملل والنحل "(1/98)

60 لوامع الأنوار البهية (1/ 312)

2-ولو كان العبد غير فاعل على الحقيقة، لكان تعذيبه على المعاصي ظلماً وجورا، ولكان إثابته على الطاعات عبثا.

3-لو كان العبد غير فاعل حقيقة ، لما كان لإرسال الرسل وإنزال الكتب والتبشير والإنذار معنى؛ إذ لا طائع ولا عاص على الحقيقة!

وكيف يكون العبد فاعلا مختاراً، ثم يقال إنه فاعل مجازا !! فما ثمّ فعل منه أصلا!

وأي محذور في أن يقال إن العبد فاعل حقيقة، والله خالقه، وخالق قدرته وإرادته، فلا خالق إلا الله، وخالق السبب التام خالق للمسبّب.

ثم إن هذا القول الباطل يعلم بطلانه كل عاقل بالمشاهدة، فنحن نرى زيداً من الناس يأكل ويشرب وينكح ، فمن الذي يفعل ذلك ، حقيقة ؟! أو : ليس له فاعل حقيقة ؟! سبحانك ، هذا بهتان عظيم

وهذا القائل لو جاء زيد هذا فضربه وشتمه وهتك عرضه، هل يلومه على فعله، أم يعذره لأنه ليس فاعلا حقيقة؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم . والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلي والصائم . وللعباد القدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالقهم ، وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال الله تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

وهذه الدرجة من القَدَر يكذّب بها عامة القدرية الذين سمَّاهم النبي صلى الله عليه وسلم " مجوس هذه الأمة " [61]

[61] العقيدة الواسطية،اعتقاد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة(ص/108)

*** وختاماً نقول :

إن بابِ القدر باب من الخطورة بمكان ، فلكَم زلَّت في أقدام ، وضلَّت فيه أفهام ، **وصدق ابن القيم -رحمه الله- إذ يقول :** " القدر بحر محيط لا ساحل له ، وقد سلك الناس في هذا الباب في كل واد، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، وصنَّفت فيه الطوائف على تنوع أصنافها، وكلٌ قد اختار لنفسه مذهباً لا يعتقد الصواب في سواه، ، وكلهم - إلا من اهتدى بالوحي - عن طريق الصواب مصدود، وباب الهدى في وجهه مسدود، قد قمّش علماً غير طائل، وارتوى من ماء آجن؛ قد طاف على أبواب المذاهب، ففاز بأخس الآراء والمطالب .[62]

أقول :

فعلى العبد إن قصر فهمه عن إدراك حقيقة القدر من كتاب الله والسنة ، وما سطّره الراسخون من الأئمة ، فعليه أن يقف على هذه الأصول الأربعة ، فإنها –إن شاء الله- تلملم له شتات ذهنه ، وترشده لما قدَّره الله -تعالى-بحكمته وإذنه .

****** وهذه الأصول هى***

(كمال الملكية / كمال العدل /كمال الحكمة /كمال الاصطفاء)

1)الأصل الأول :

. **(كمال الملكية)** :

قال تعالى)لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ1) و قال اللّه تعالى:{قُلِ اللَّهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ...)

وقال صلى الله عليه وسلم:-

"مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ- إذَا أَصابَهُ هَمَّ أوْ حَزَنٌ-: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ

---

[62] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل(1/44، 45).

قَضَاؤُكَ. أَسْألكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ...)[63] هو ملك الناس حقاً ، وكلهم عبيده ومماليكه ، فالملك ملكه ، والخلق عبيده ، و هو ربهم ونواصيهم بيده ، يُصرِّفُ أمور عباده كما يحبّ ، ويقلّبهم كما يشاء ، لا يسئل عمَّا يفعل وهم يسألون، فالله -تعالى -لا يُسئل عما يفعل لكمال ملكيته وحكمته وعدله .

إن آحاد الخلق لا يرضى أن يراجعه أحدٌ إذا تصرف فيما يملكه ، فكيف بمالك الملك ؟!!!!

. 2)الأصل الثاني : كمال العدل :

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ، وقال تعالى (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وقال النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا...)[64]

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(" إن الله سيستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً , كل سجل مد البصر, ثم يقول الله - عز وجل -: هل تنكر من هذا شيئا؟ , فيقول: لا يا رب , فيقول الله - عز وجل -: هل ظلمك كتبتي الحافظون؟ ، فيقول: لا يا رب...[65]

**فالله –تعالى –الذي وسعت قدرته كل شيء قد حرَّم الظلم على نفسه ؛ وذلك لكمال عدله عزوجل .

فما من جزاءٍ قضاه الله –تعالى-على عبد من عباده في الحال أو المآل إلا وعدل الله –تعالى – ظاهر بيَّنٌ فيه (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ..) ، ومن شك وارتاب في ذلك فإنَّ هذا من

[63] أخرجه أحمد(4318) وانظر السلسلة الصحيحة (199)
[64] أخرجه مسلم (2577)
[65] أخرجه الترمذى(2639) , انظر صحيح الجامع(: 1776)،والسلسلة الصحيحة(135)

عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. ***قال ابن كثير :***

ثم قال تعالى : { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } أي: ونطق الكون أجمعه -ناطقه وبهيمه- لله رب العالمين، بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شَهِدَت له بالحمد.[66] ***قال ابن القيم*** :

{ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فحذَف فاعل القول لأنه غير معين بل كل أحد يحمده على ذلك الحكم الذي حكم فيه فيحمده أهل السموات وأهل الأرض والأبرار والفجار والإنس والجن حتى أهل النار. قال الحسن أو غيره : لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم ، ما وجدوا عليه سبيلاً .[67]

*** ألا ترى أنهم ما حمدوا ربهم إلا لمَّا رأوا آثار عدله فيهم .

3)الأصل الثالث : كمال الحكمة :

فلله تعالى الحجة البالغة ، وله الحكمة الكاملة ، ذكر- تعالى- حكمته في ما يزيد عن ثمانين موضعاً من كتابه باسمه وصفته . فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره،وهو ذو حكمة في قسْمه وحكمه ، في هدايته و إضلاله لخلقه . الله أعلم حيث يجعل هدايته ، هو الحكيم في أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، ومن أحسن من الله حكمة وحكماً ؟!!

هدى هذا بقدره ولعلمه أن قلبه أرض طيبة تقبل الهدى وتتنتفع به ، وأضله ذاك بقدره ولعلمه أن قلبه أرض خبيثة لا تقبل الهدى ، فـ (أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) خذله عن محجة

---

[66] تفسير القرآن العظيم(7/127)

[67] روضة المحبين ونزهة المشتاقين(ص/65)

الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية .[68]
(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ)
فكذلك القلوب لما خاطبها نداء الإيمان ، وافى محلاً محباً فى القلب مؤمن ، ووافى محلاً سباخُاً في قلب الكافر .
. 4) الأصل الرابع : كمال الاصطفاء :
. احمد بك أن عافاك وهداك واصطفاك (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) واستشعر فضله عليك (مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) .. (إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).
قال تعالى في الحديث القدسي (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ..)[69]
فاللهم ربنا لك الحمد عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ، اللهم لولا فضلك علينا ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا .
(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ...) فاللهم أتمم نعمتك علينا حتى نسمع ((وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تعملون))

. **تم بحمد الله***

[68] جامع البيان في تأويل القرآن(22/76)
[69] أخرجه مسلم(2577)